طريق الحاج من شمال إفريقيا عبر مصر(١٢٦٨ – ١٨٨٣)
دراسة تاريخية – جغرافية

د. نزار علوان عبد الله

الملخص

مر هذا الطريق بمراحل عدة تبعاً للظروف السياسية التي ألمت بمصر وبلاد الشام،والتي أسهمت بدورها في تغيير مساراته الجغرافية على مراحل تاريخية وحقب مختلفة، حتى استقر به الأمر في الحقبة المشار إليها في عنوان البحث، التي تمتد إلى مايقرب من السبعة قرون. ويبدأ تاريخه مع اعتناق أغلب المصريين للإسلام، وهنا يمكن عده الطريق الأول للحج من شمال إفريقيا الذي كان ينطلق من الفسطاط عاصمة مصر الأولى، ثم يمر بشبه جزيرة سيناء حتى أيلة، ومنها يتجه إلى غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر، إلى أن يصل الى مدين في الحجاز، وبعد مراحل متعددة ينتهي بمكة المكرمة، غير ان حروب الصليبيين التي تعرضت لها بلاد الشام اوقفت هذا الطريق، ودعت الى ايجاد بديل له عبر ميناء عيذاب، من خلال رحلة نهرية تبدا من ركوب نهر النيل عند ساحل مدينة الفسطاط الى ان تنتهي بقوص، ومن ثم رحلة برية عبر الصحراء الشرقية لمصر لتنتهي عند عيذاب، ومنها يتم عبور البحر الأحمر إلى جدة وصولاً إلى مكة المكرمة، وقد استمر طريق عيذاب يعمل به لما يقرب من القرنين من الزمان، لكن توقف الحروب الصليبية وزوال خطرها كان سبباً للعودة إلى الدرب البري ابتدء من عام ١٢٦٨ م، عندما سمح السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بمرور قافلة الحج عبر أراضيه، وهو الدرب الذي اصطلح على تسميته (بدرب الحاج المصري القديم)، وكان من الطبيعي أن تتغير فيه أسماء بعض المواضع تبعاً لتغير الأزمنة،وانتقال مصر من الحكم المملوكي إلى الحكم العثماني، وهكذا استمرت مسيرة الطريق المشار إليه حتى ١٨٨٣ م ثم توقف نتيجة لفتح قناة السويس عام ١٨٦٩م، ووصول السكك الحديدية المصرية إلى السويس قادمة من القاهرة وتحول الحج معه إلى هذا الطريق الجديد، ومنه إلى ميناء جدة بطريق البحر، فمكة المكرمة أخيراً.

Haj Road from North Africa across Egypt (1262 – 1883)
Historical & Geographical Study

Dr. Nazra Alwan Abdullah

Abstract

This road went through many stages in accordance with the political conditions prevailing in Egypt and the Levant. These conditions changed its geographical routes over various historical periods and eras, until it ultimately took its final shape in the period referred to in the title

of this study. This period spanned over seven centuries. The history of this Road started when the Egyptians converted to Islam. Thus, the first road of this kind may be considered the one stretching from Al-Fustas, Egypt's first capital, through Sinai Desert until Aila, then towards Western Arabia alongside the Red Sea Eastern Coast, until it reaches the Sea in Hijaz, and finally from there to Medina and Mecca. The Crusades in the Levant, however, caused people to abandon this road and find an alternative across Aithab Desert by boarding boats in the Nile at Al-Fistas City Coast till Bakoos, then a land trip across the desert to Aithab Harbour and across the Red Sea to Jedda and finally to Mecca. This Road continued to be used for two centuries, but it made way for the land road after the Crusades had ended.

1268 A.C. is considered the actual date of the return to the latter, known as "Old Egyptian Haj Road". In that year, Al-Mamluki Sultan Al-Zahir Baibars sent a haj convoy across his lands. It was only natural that some of the locations names have changed with time and with the shift of power from Mamluks rule to Ottoman rule. Thus, this road continued to be used until 1883, as the transformations occasioned by opening Suez Channel in 1869 and the advent of Egyptian railways to the said Channel from Cairo paved the way for a new road to transport pilgrims across those railways to Suez and to Jeddah therefrom by sea.

توطئة:

كانت ركائب الحج من الأمصار الإسلامية المختلفة في اتجاهاتها الى مكة المكرمة – منذ أن فرض الحج على المسلمين قاطبة عام ٦٣٠م[i]–، تسلك أربع طرق رئيسة تشق الجزيرة العربية من شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، وهي الطرق التي ظهرت في فجر الإسلام كطرق للحج، بعد أن كانت هي نفسها طرق التجارة القديمة المعروفة لدى العرب في الجاهلية[ii]، وهي مسارات تعارف المسافرون على سلوكها تفادياً للعوائق التضاريسية والعدائية، وبعضها قديمة يعود وجودها إلى ما قبل الإسلام مثل طريق الشام واليمن، والبعض الآخر مرت عليه أزمنة انتعشت فيها حركة الحجاج لمدد طويلة، ثم عادت إلى الخفوت لأسباب سياسية، وإن لم تتوقف تماماً كطريق الحج العراقي، أو قد تكون لها مسالك ودروب ذات محطات ومناهل مياه معروفة، لكن قد يطرأ على مسارها تعديل طفيف أو كبير فتتحول الحركة من احدها إلى الآخر لمدد تطول او تقصر لدواعٍ تتراوح بين اختلاف تأثير الظواهر الجوية عليها في فصول السنة إلى الاعتداءات المسلحة لهجمات الأعراب أو اعتداءات الصليبيين الذي توقف بسببهم طريق الحج المصري القديم عبر صحراء سيناء وتحول الى طريق عيذاب البحري، انطلاقاً من بحر القلزم (البحر الأحمر)، حتى تم القضاء على الحركة الصليبية ليعود الى مساره الأول[iii].

ولما كانت هذه الطرق عامل حسم في ربط أقاليم العالم الإسلامي الممتدة على مساحة شاسعة ومترامية الأطراف من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، فأنها بالتأكيد لقيت العناية الخاصة من الدول الإسلامية المختلفة منذ عهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) وما تلى ذلك من العهود المتعاقبة خلال القرون الوسطى وصولاً الى العصر الحديث[iv].

وعلى امتداد تلك الدروب شيدت المساجد والمنازل والخانات والقلاع وآبار المياه والبرك، كما أقيمت الأسواق التجارية لتفي بحاجة الحجاج من كل المتطلبات، الأمر الذي أدى إلى رواج المدن والقرى التي كانت تمر بها قوافل الحج حتى أصبحت معالم بارزة في خارطة العالم الإسلامي[v].

وهكذا استمرت طرق الحج بتأدية وظيفتها الدينية منذ فجر الإسلام، وحتى بداية ظهور وسائط النقل الحديثة في نهايات القرن التاسع عشر، عندها اندثرت تدريجياً واختفت مع تقادم الزمن وتأثير الأحوال المناخية والسياسية والاقتصادية، وهجرت من قبل السكان القاطنين في المناطق التي كانت تجتازها، ومع ذلك فإن المصادر التاريخية والجغرافية حفظت لنا معلومات مهمة عنها ساعدت الباحثين في التحقق من المواقع الأثرية والمعالم الباقية عليها إلى يومنا هذا[vi].

خريطة (١) طرق الحج الرئيسة في البلاد الاسلامية[vii]

طريق الحج المصري القديم نشأته وتطوره التاريخي:

حين التحدث عن طريق الحج المصري القديم وعن تأريخ نشأته كطريق للحج، لا بد أن نشير إلى تأريخ الفتح الإسلامي لمصر عام ٦٤٠م الذي ابتدأ معه هذا الطريق بالعمل[viii]، حتى أصبح همزة وصل بين الغرب والشرق الإسلاميين، والطريق الهام والرئيس لعبور قوافل الحج القادمة من مصر وبلدان شمال افريقيا والأندلس[ix]، والمتجهة بعد ذلك إلى الديار المقدسة في مكة المكرمة، ومما يزيد من أهميته ارتباطه بالعديد من الطرق والمسالك التي تلتقي به أو تتفرع منه، فضلاً عن توفر الخدمات اللازمة على طول مراحله[x].

وكانت مسيرته تبدأ من الفسطاط أولى العواصم الإسلامية لمصر ومن ثم يتجه إلى جب عميرة، وهو الموضع الذي تجتمع به قافلتا مصر وشمال إفريقيا، قبل الانطلاق نحو البويب، ومن البويب الى منزل أم سعد، ومن منزل أم سعد الى عجرود[xi]، ومن عجرود الى جسر القلزم (السويس)[xii]،ومن جسر القلزم ينزل الدرب ست مراحل مروراً بصحراء سيناء، حتى آيلة(العقبة)، أو كما تعرف بعقبة ايلة، وهي مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) يلتقي بها حجاج الشام ومصر وبلاد المغرب، وتقام فيها الأسواق أثناء موسم الحج[xiii].

بعد ذلك يواصل الدرب المسير عبر منازل حقل ووادي الغراب وشرف البغل (الشرف أو شرف بني عطية)، علي أن يتابع تقدمه الى مدين (مغاير شعيب)، وهي مدينة عامرة فيها الكثير من العيون والأنهار العذبة وبساتين النخيل[xiv].

وعند مدين ينشطر الطريق الى شطرين وكما هو مشار في خريطة رقم(٢)، فمن أراد أن يذهب إلى مكة المكرمة مباشرة، أخذ ساحل البحر الأحمر إلى عينونا، ومن عينونا الى المصلى، ومن المصلى الى النبك (المويلح)، ومن النبك الى ضبأ ومن ضبأ إلى المرة، ومن المرة إلى عويند، ومن عويند إلى الوجه، ومن الوجه إلى منخوس، ومن منخوس إلى الحوراء، ومن الحوراء الى قصيبة، ومن قصيبة إلى ينبع البحر،[xv] ومن ينبع البحر إلى الجار، ومن الجار إلى الجحفة، ومن الجحفة إلى قديد، ومن قديد إلى عسفان، ثم إلى وادي فاطمة فمكة المكرمة[xvi].

أما من أراد أن يذهب إلى المدينة المنورة أولاً، ثم إلى مكة المكرمة ثانياً، فعليه أن يأخذ بعد مدين(مغاير شعيب) طريق قالس مروراً بالأغر، ومنها إلى الكلابية وبدا والشغب والسرحتين حتى السقيا، وبها يلتقي طريق الشام ومصر.[xvii]

ومن السقيا الى عتاب، ومن عتاب الى المروة، ومن المروة الى المر ومن المر الى السويداء، ومن السويداء الى الأراك، ومن الأراك الى ذي خشب، ومن ذي خشب الى المدينة المنورة[xviii].

خريطة (٢) الطريق الساحلي والطريق الداخلي لدرب الحج المصري [xix]

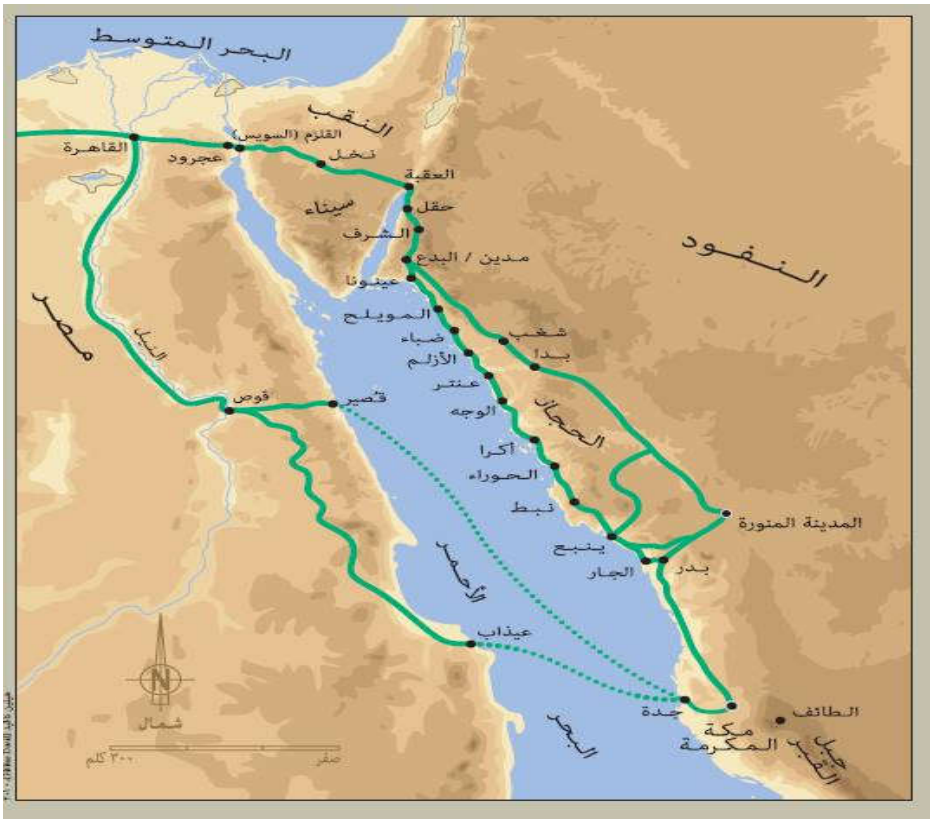

وكان الطريق الأول قد اصطلح على تسميته بالطريق الساحلي، أما الطريق الثاني فقد سمي بالطريق الداخلي، والأخير كان أكثر استخداماً وشيوعاً خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين، ومع بدايات القرن التاسع الميلادي زاد استخدام طريق الساحل حتى انتهى الأمر إلى استمراره وترك طريق الداخل[xx].

طريق الحج المصري القديم الهجر والتحول إلى طريق البحر:

وعلى الرغم من الاهتمام المتباين لطريق الحج المصري بشطريه الأول والثاني من قبل الدول الإسلامية المتعاقبة، الا أنه مر بمراحل من التعثر والاضطراب في النصف الثاني من العهد الفاطمي حتى عطل وهجر بشكل نهائي عام ١٠٥٨ م[xxi]، وغيرت مساراته من شبه جزيرة سيناء إلى الصحراء الشرقية في مصر وكما هو مبين في خريطة رقم(٣)، وتبدأ تلك المسارات من ميناء الفسطاط جنوبي القاهرة عبر نهر النيل، مروراً بأسكر ومنية ابن الخصيب وانصف ومرسى جبل المقلة أو المقلا، ومن المقلا تتجه المراكب إلى الساحل الغربي للنهر حيث تمر بإسيوط وبلدة أبي تيح، وأخيم والبلينا وهي من مدن الصعيد، ثم يعود المسار الى الساحل الشرقي عبر بلدة وشنا وقنا حتى يصل الى قوص آخر المحطات النهرية[xxii] وهي مدينة كبيرة على الدرب، وملتقى لحجاج مصر والمغرب، ومنها ينطلق الطريق البري إلى عيذاب على البحر الاحمر عبر صحراء مصر الشرقية، ومن عيذاب يكون عبور البحر بواسطة السفن الشراعية نحو جدة الميناء المقابل لمصر في الأراضي الحجازية، ومن جدة يستمر المسير الى مكة المكرمة[xxiii].

ويعزى ترك الطريق القديم الى المحنة التي ألمت بمصر أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله معد بن الظاهر أبو تميم (١٠٣٥- ١٠٩٤م) ممثلة في المجاعة التي عرفت (بالشدة العظمى)، والتي استمرت سبع سنوات متتالية[xxiv]، وكان من نتائجها عجز الفاطميين عن مواصلة دفع نفقات الطريق البري، والإشراف على قافلة الحج المصري التي تمر بأراضيه[xxv]، فضلاً عما آل اليه الوضع في البلاد أيام وصول الصليبيين إلى الشام أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وتأسيسهم لأربع إمارات صليبية، أخطرها إمارة بيت المقدس التي أسهمت في وصول النفوذ الصليبي الى صحراء النقب، والسيطرة على المنطقة الممتدة من البحر الأحمر إلى خليج آيلة[xxvi]، من خلال تشييد الحصون والقلاع في آيلة ذاتها، الأمر الذي شكل تحدياً أمام استمرارية الطريق البري، مما اضطر الفاطميين الى إغلاقه، بعد أن عزلت مصر تماماً عن بقية العالم الاسلامي في الشرق[xxvii].

وتحت وطأة تلك الظروف أصبح طريق قوص- عيذاب البحري هو الطريق الأمثل للحج، بما يتلاءم وطبيعة المرحلة التاريخية التي عاشتها مصر آنذاك، وقد حج من خلاله

الرحالة الفارسي ناصر خسرو عام ١٠٥٠م[xxviii]، كما استخدم من قبل الرحالة ابن جبير، الذي يعطينا وصفاً دقيقاً لمسالكه المختلفة، أثناء مروره الى الديار المقدسة عام ١١٨٣م[xxix].

لكن هذا الطريق كانت تعتريه الكثير من المشاكل، منها وعورته، وطول مسافاته، وقلة الماء فيه[xxx]،وسوء معاملة الحجاج من قبل عرب البجاة[xxxi] الذين كانوا يتولون أمر نقلهم بالإبل من قوص الى عيذاب[xxxii]، ناهيك عن المراكب المتهالكة التي تحملهم الى جدة مقابل رسوم باهظة تفرض عليهم من أصحابها[xxxiii]، والذين يشحنونها بأعداد كبيرة من الحجاج تفوق حمولتها، مما يؤدي في كثير من الاحيان الى غرقها وسط البحر، وهلاك أغلب من عليها[xxxiv].

خريطة (٣) طريق قوص – عيذاب عبر الصحراء الشرقية لمصر[xxxv]

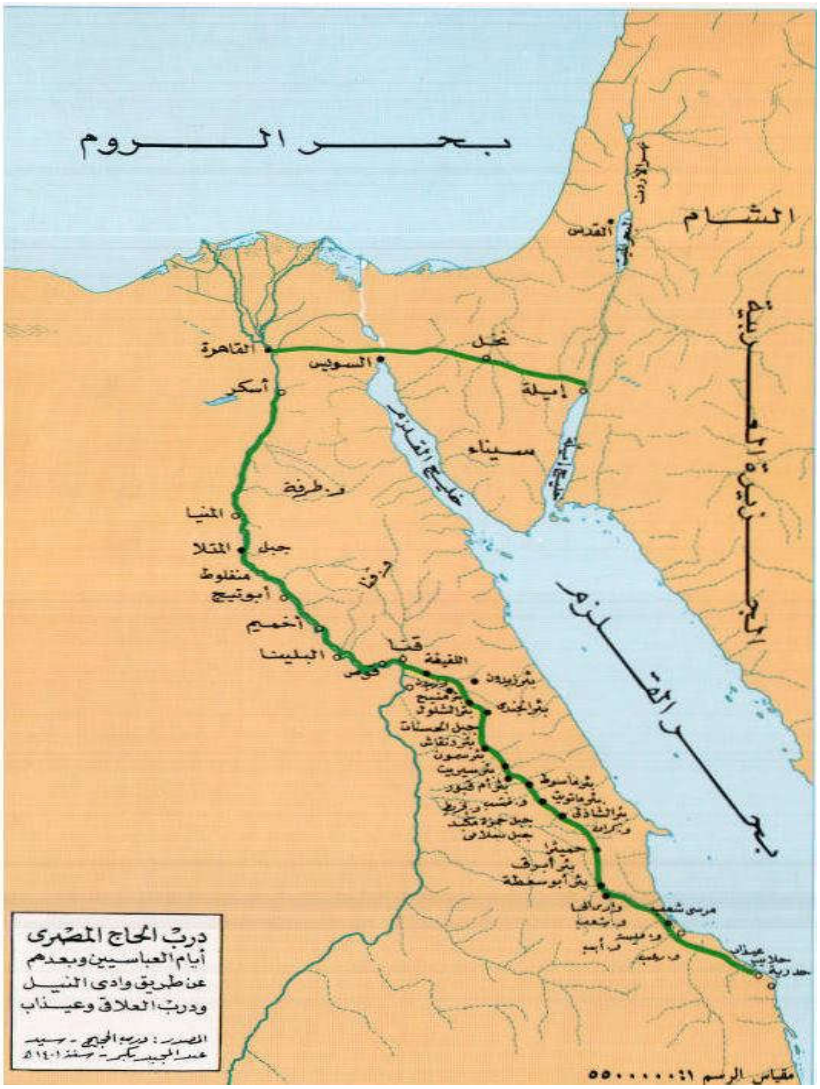

استمر طريق قوص– عيذاب– رغم المصاعب التي جابهته– لقرنين من الزمان خلال المدة الممتدة بين عامي (١٠٥٩– ١٢٦٢ م)، ومع نهايات العهد الايوبي بدأت ملامح استخدامه

تضعف تدريجياً، وقلت مبررات مرور قوافل الحج عبر أراضيه، بسبب تطور الأحداث السياسية والحربية التي شهدتها المنطقة، والتي أعادت الأمن والاستقرار الى المنازل التي كان يمر بها الطريق البري عبر سيناء، بعد أن تمكن صلاح الدين الايوبي (١١٧٤- ١١٩٣ م) من هزيمة الفرنج في موقعة حطين عام ١١٨٧م وما ترتب على ذلك من سقوط العديد من المدن والقلاع الصليبية، ومن ثم كسر شوكة الصليبيين في بلاد الشام[xxxvi]،الأمر الذي مهد الظروف في العودة الى طريق الحج المصري القديم، وأول استخدام له جاء من قبل ركب شجرة الدر عام ١٢٤٧م عندما قررت الحج في تلك السنة[xxxvii].

الحقبة المملوكية والعودة الى طريق الحج المصري القديم:

جاءت البداية الحقيقية لفتح طريق الحج المصري القديم من قبل السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري (١٢٦٠-١٢٧٧م)، عندما كسا الكعبة المشرفة عام ١٢٦٢م، وعمل لها مفتاحاً [xxxviii]،ثم أخرج قافلة الحج الى البر عام ١٢٦٧م، وأرسل معها الكسوة الى البيت المعظم[xxxix]، ولما تمت كل تلك الترتيبات أقدم عام ١٢٦٨م على التوجه الى مكة المكرمة، وهو في طريقه الى الحج، لتأكيد عودة الدرب البري القديم في استقبال قوافل الحج المتجهة من القاهرة الى الديار المقدسة في الحجاز[xl].

وهكذا بدأت أهمية طريق قوص- عيذاب تتضاءل وانتهى أي دور له مطلع القرن الخامس عشر، نتيجة تحول الحج عنه بالعودة الى الطريق القديم، فضلاً عن تنامي النزاعات المحلية بين بعض القبائل المحيطة بعيذاب[xli]، والتي أفقدت المدينة الأمن والسلام، وجعلت استحالة مرور القوافل عبر أراضيها[xlii]، وقد تحدث لنا التجيبي عما أصاب الطريق البحري من مشاكل في رحلته الى الحجاز عام ١٢٩٦م[xliii]، كما لم يستطع أن يحج خلاله ابن بطوطة عام ١٣٢٥م، قائلاً عنه: " لما وصلنا إلى عيذاب وجدنا الحدربي سلطان البجاة يحارب الأتراك وقد خرق المراكب وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا في البحر..."[xliv].

وفي هذا الصدد يمكن أن نؤكد بأن تراجع ميناء عيذاب عن دوره الحضاري قد أفسح المجال لتنامي دور ميناء جدة ليصبح الميناء الرئيس على البحر الأحمر منذ آواخر العهد المملوكي، وقد أتاح ذلك استخدام الأخير كطريق ثانوي للحج من قبل الميسورين، وعدد قليل من حجاج شمال وغرب إفريقيا ممن وجدوه أفضل لهم من البر، على أن يبدأ المسير فيه بواسطة السفن الشراعية انطلاقاً من ميناء السويس[xlv].

وحج عبر هذا الطريق الرحالة الأندلسي أبو الحسن علي القلصادي عام ١٤٤٧م وهو يصف مراحله المتعددة التي تمر بالسويس والطور وينبع البحر ورابغ وجدة آخر المحطات البحرية له، قبل النزول الى البر والتوجه بعدها الى مكة المكرمة[xlvi].

وحين العودة الى طريق الحج المصري الأول الذي أعيد إلى الاستخدام عام ١٢٦٨م والتحدث عن منازله في العهد المملوكي، فنقول هي نفسها التي ظهر عليها سابقاً في العهود الماضية، عدا ما طرأ عليها من تغيير في أسماء بعض المواضع، وبروز مواضع جديدة، فقد تبدل اسم جب عميرة الى بركة الحاج، وظهرت محطة نخل في قلب سيناء، واندثر ميناء الجار وأصبح ميناء ينبع البحر وريثاً له[xlvii].

وفي تلك المرحلة التاريخية لم يعد ينشطر هذا الدرب الى شطرين، اعتباراً من مدين كما مضى الى ساحلي وداخلي، وانما شطر واحد فقط هو الساحلي[xlviii]، ويظهر ذلك من خريطة رقم(٤) وخريطة رقم(٥)، ويبدأ فيهما المسير أيضاً من مدين مروراً بعينونا والنبك (المويلح)، والأزلم وأسطبل عنتر والوجه والحوراء والنبط وينبع البحر وبدر ورابغ وقديد وعسفان، ثم وادي فاطمة ومكة المكرمة[xlix].

وقد نال الطريق المشار اليه في ذلك الوقت اهتماما كبيراً من قبل سلاطين الدولة المملوكية، والظاهر بيبرس البندقداري هو أول من عني بمنازله التي امتدت على طول الأراضي التي يسير فيها بين مصر والحجاز[l]،فإليه يعزى إنشاء برج إلى الجنوب من آيلة، على مسافة قصيرة من خليجها، لا تزيد على ٥٠ متراً في سفح الجبل المجاور لها[li].

وأقدم الناصر محمد بن قلاوون (١٣٠٩- ١٣٤٠م) على بناء خان في كل من عجرود[lii]، وآيلة[liii]، والأزلم، ووكل بحفظ تلك الخانات إلى أشخاص أجرى لهم رواتب ومخصصات معلومة[liv]، أما خليفته في الحكم وولده الناصر حسن (١٣٥٤- ١٣٦١م)، فإنه قام بتمهيد الطريق عند آيلة حين أزال كل العقبات الشاقة فيه، وقد عرف هذا العمل بنقب آيلة، ليسهل على الحجاج المرور فيه[lv].

كما حرص المماليك على إصلاح آبار المياه المنتشرة على طريق الحج، فقد أرسل السلطان الأشرف سيف الدين برسباي (١٤٢٢- ١٤٣٨م) الى الحجاز عام ١٤٣٠م الأمير شاهين الطويل، ومعه الكثير من الحجاريين والمتخصصين في اصلاح آبار المياه، وحفر آبار جديدة في الأماكن التي تتطلب ذلك[lvi].

خريطة (٤) الطريق الساحلي[lvii]

أمـا أبـرز المـآثر المملوكيـة، فأنهـا تعـود الـى السـلطان الأشـرف قانصـوه الغـوري (١٥٠١– ١٥١٦ م) الذي بنا خاناً وبرجاً في كل من نخل والسويس وحقل، وأضاف أبراجاً أخرى الى الخانات التي بنيت على أيام الناصر محمد بن قلاوون، وهي خانات عجرود والازلم [lviii]، ليجعـل منهـا قلاعـاً حصـينة تحمـي مسـالك الحـج المصـري مـن جهـة حـدود مصـر الشرقية[lix]،فضلاً عما قام به من أعمال وترميم في تلك المنشأة الحيوية[lx]

خريطة (٥) الطريق الساحلي[lxi]

ونذكر أيضاً بالأسواق التي راجت أيام حكم المماليك على طول الدرب، وكانت هذه الأسواق بمثابة أماكن لتجمع واستراحة الحجاج، مع إمدادهم بما يلزم من المؤن والزاد، وذلك بما يحقق النفع العام، والفائدة للجميع على حد سواء.[lxii]

الحقبة العثمانية والازدهار الحضاري لطريق الحج المصري القديم استمر درب الحج المصري القديم يشق صحراء سيناء أثناء العهد المملوكي الذي انتهى عام ١٥١٧م على يد الدولة العثمانية التي أصبحت هي من ترعى طرق الحج، باعتبار أن الزعامة على العالم الإسلامي قد انتقلت إليها تلقائياً.

لكن ذلك الطريق سرعان ما توقف بشكل موقت في العام المشار إليه، نتيجة للمستجدات السياسة التي عاشتها مصر أثناء المرحلة الانتقالية التي ألمت بها حين تحولت من الحكم المملوكي الى الحكم العثماني، الأمر الذي ارغم الدولة العثمانية على إرسال كسوة الكعبة المشرفة عبر البحر الاحمر من خلال طريق السويس- جدة [lxiii].

وريثما استقر الحكم للعثمانيين في مصر عاد الطريق البري- في العام التالي- الى سابق عهده في استقبال قوافل الحج المتجهة إلى الأراضي المقدسة في مكة المكرمة، ولم يتغير

شيء في منازله التي كان يمر بها أيام المماليك، عدى ما طرأ عليها من اهتمام عثماني واضح، كرس لإنشاء الآبار، وإقامة الحصون، وتشجيع بناء الخانات والمخافر، وتعزيز دور الحاميات العسكرية على طول الدرب، لحفظ الأمن والنظام[lxiv]، مع ما شهدته بعض الأبراج التي تعود إلى الحقبة المملوكية من توسعه[lxv]، فكان نصيب عجرود من تلك الرعاية تجديد وترميم قلعتها (الخان والبرج) لأكثر من مرة، إذ جددت في عهد السلطان سليم الأول(١٥١٢- ١٥٢٠م)[lxvi]، وجددت في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠- ١٥٦٦م)، ورممت من قبل السلطان محمد الثالث (١٥٩٥- ١٦٠٣م)[lxvii]، وكانت الخزينة المصرية هي من تكفلت بتغطية جميع النفقات لتلك الأعمال[lxviii].

ونالت قلعة السويس نصيباً وافراً من اهتمامات السلطان سليم الأول، عندما أقدم على تجديد بنائها عام ١٥٢٠ م، وذلك بهدف تحقيق الأمن والسلام لطريق الحج عند الحدود الشرقية لمصر، وقد خصصت مبالغ طائلة للقائمين على تلك القلعة[lxix].

طالت تلك الرعاية أيضا قلعة نخل التي تتوسط سيناء[lxx]، وفي هذا الجانب يمكن القول بأن السلطان سليمان القانوني والسلطان مراد الثالث (١٥٧٤- ١٥٩٥م)، والسلطان أحمد الثالث (١٧٠٣- ١٧٣٠م) أسهموا إسهاماً كبيراً في أعمال البناء والترميم في منشآتها الحيوية[lxxi]، وامتدت تلك التعميرات الى قلعة آيلة بأمر من السلطان مراد الثالث[lxxii].

خريطة رقم (٦) مسار الطريق من القاهرة الى السويس[lxxiii]

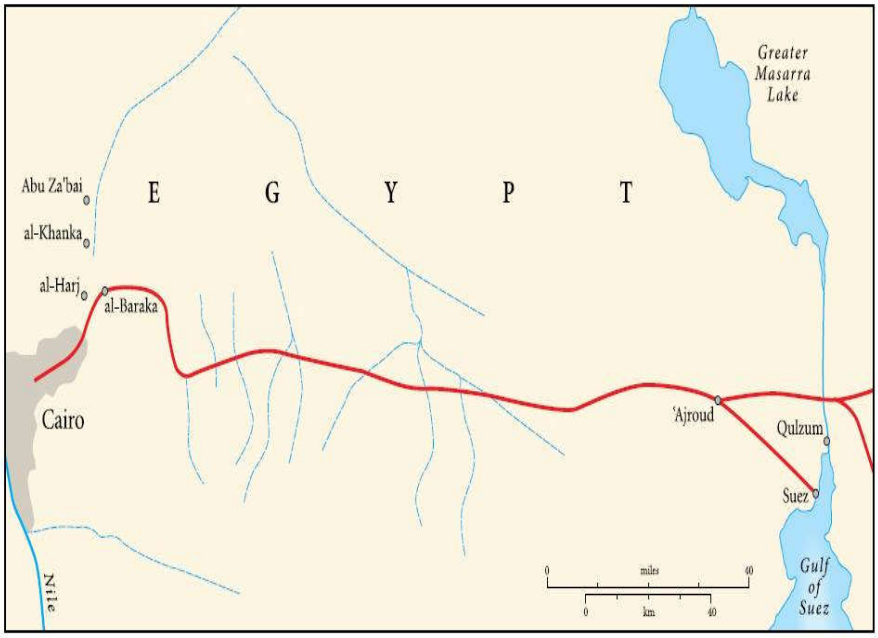

Plate 2 The map of the Egyptian Hajj route between 'Ajroud and 'Aqaba, showing the *khans* in 'Ajroud, Nakhl, Abyar al-'Ala'i and 'Aqaba (map by Martin Brown)

خريطة رقم (٧) مسار الطريق من السويس الى آيله[lxxiv]

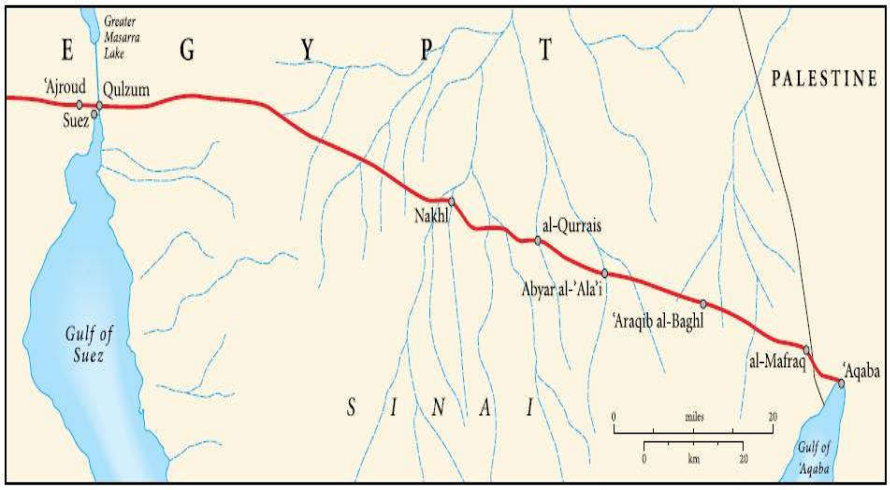

Plate 1 The map of the Egyptian Hajj route between Birkat al-Hajj and the fort-*khan* of 'Ajroud (map by Martin Brown)

كما أقدم السلطان سليمان القانوني عام ١٥٦٠م على جملة من الإنشاءات الضرورية التي استهدفت مناهل الدرب على الأراضي الحجازية، منها قيامه بإنشاء قلعتي المويلح[lxxv]، والوجه[lxxvi]، بهدف تأمين الحج وخدمته وتوفير الحماية اللازمة له، وتمكين الحجاج من التزود بالماء، وحفظ الامتعة[lxxvii].

وقد تابع الباشوات العثمانيون في مصر سياسة الإعمار التي بدأها سلاطين الدولة العثمانية بطريق الحج المصري، وذلك من خلال العمل الدائم لتمهيد مراحله وكل ما يعتريه من مشاق، فضلاً عن حفرهم الآبار التي تردم فيه أو إنشاء آبار جديدة، مع العناية الدائمة بالقلاع والمحطات الممتدة عبر أراضيه، بهدف توفير الحراسة والراحة للحجاج، وفي هذا الصدد يمكن أن نشير إلى ما قام به الوالي داود باشا (١٥٣٨- ١٥٤٩م) من بنائه خان على الطريق الرابط بين القاهرة وبركة الحاج [lxxviii]، وإنشائه عام ١٥٤٤م حوضاً على بئرين قديمين في البركة ذاتها، وتوسعته وتجديده لقلعة الازلم.[lxxix]

وعند نهاية القرن الثامن عشر أصدر الوالي أبو بكر باشا (١٧٩٦- ١٧٩٨ م) أوامره بتعمير وترميم سواقي قلعة نخل وعجرود، وحفر آبار جديدة بطريق الحج، وقد خصص لهذا الغرض مبلغ ثمانية أكياس من الخزينة الأرسالية للسلطان[lxxx].

ولا يفوتنا ذكر ما ورد في رحلة الفرنسي شارل ديدييه (Charles Didier) من قيام الوالي محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨م) عام ١٨٠٩م بترميم القلاع المنتشرة بين القاهرة وينبع البحر، والتي شملت عجرود ونخل وآيلة والمويلح والأزلم والوجه[lxxxi]، بعد أن أفرد لها وضعاً إدارياً خاصاً، من خلال تعيينه محافظاً يدير شؤونها ويتبع باشوية مصر، وقاضياً ينظر في احكامها الشرعية، وظلت تدار بهذا الشكل حتى انقطاع الحج براً عام ١٨٨٣[lxxxii].

وعلى الرغم من الاهتمام المتزايد الذي أبدته الدولة العثمانية تجاه الطريق البري القديم، الا أنه لم يكن هو الطريق الوحيد للحج، بل استمر معه الطريق البحري المار بالسويس، والذي شاع استخدامه منذ أواخر العهد المملوكي كمعبر ثانوي في الوصول الى مكة المكرمة[lxxxiii]، وظل مقتصراً على بعض الوافدين من حجاج شمال افريقيا وغربها ممن يفضلونه [lxxxiv]، أو ممن تخلف عن الالتحاق براً بالركب المصري[lxxxv]،أما مراحله أثناء الحقبة العثمانية فإنها تتبع مسار البر الأول من القاهرة مروراً ببركة الحاج والبويب وعجرود، ومن ثم السويس، آخر المحطات قبل الإبحار[lxxxvi]، والتحرك باتجاه الطور والوجه وينبع البحر حتى ميناء جدة، أقرب الموانئ إلى مكة المكرمة[lxxxvii]، على أن تبدأ بعدها مرحلة برية جديدة عبر طريق معبد أنشئت عليه الاستراحات والقلاع المتعددة للحراسة[lxxxviii].

خريطة(٨) الخانات والمنازل بين السويس وآيله في العهد العثماني[lxxxix]

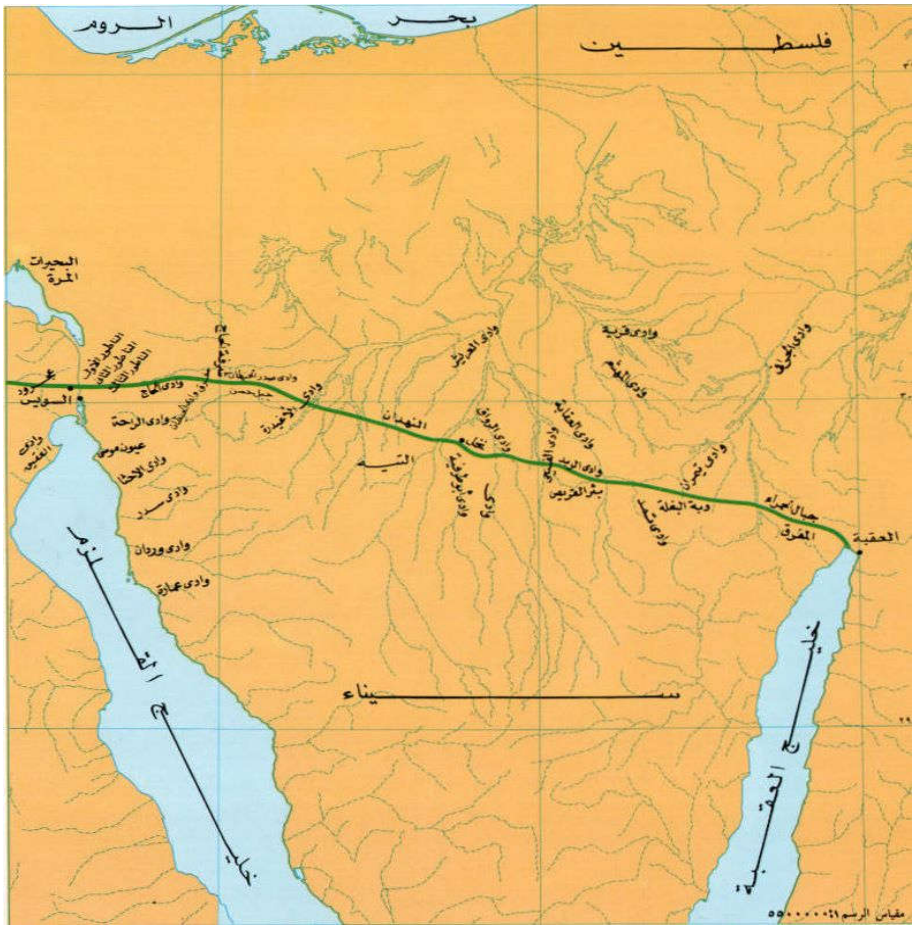

وقد أخذت أهمية هذا الدرب بالتنامي بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩م وظهور السكك الحديدية التي ربطت بينها وبين القاهرة، مما جعلها توفر أيسر الطرق لنقل الحاج إلى البحر الأحمر، وبالتالي الى الحجاز[xc]، وهكذا بدأت استخدامات الطريق الأول للحج تتضاءل مع التقدم في الزمن[xci]، حتى ترك وهجر بشكل رسمي عام ١٨٨٣م، عندما أعلنت الحكومة المصرية انطلاق سفر المحمل المصري بصحبة الكسوة وحجاج بيت الله الحرام عبر مينائي السويس والطور، وكانت آخر قافلة خرجت إلى البر في ذلك العام ليأخذ بعدها الطريق الأخير مساره الطبيعي[xcii].

لم تغلق تلك التغيرات الطريق البري القديم، وظل- حتى بدايات القرن العشرين- مستخدماً من قبل فقراء الحجاج، وبعض التجار، فضلاً عن استمرار تحركات العربان فيه من القاطنين بالمنطقة، لكن الاهتمام بعمارته أوقف من قبل السلطة المركزية في القاهرة، وهجرت منشآته الحيوية، باستثناء الآبار والبرك، أما القلاع فأنها تعرضت للتدمير، بسبب التطورات السياسية والحربية التي ألمت بمصر والحجاز في سنوات الحرب العالمية الأولى، ومن ثم أصبحت عمائره في أغلب المنازل والمناهل التي كان يمر بها أثراً بعد عين[xciii].

استنتاجات البحث

١- تأثر الطريق بالأحداث السياسية التي عاشتها مصر والبلاد المجاورة طيلة مدة استخدامه، والتي كانت سبباً رئيساً في تغيير مساراته المختلفة.

٢- شكل ذلك بالطبع تحدياً للسلالات الحاكمة في مصر، والتي كانت ترعى الحج وكل ما يتعلق به، وتسعى الى توفير أيسر الوسائل لإنجاحه.

٣- ولذلك يمكن القول بأن طريق الحج المصري، كان أكثر طرق الحج الأخرى عرضة لعدم الاستقرار والتبدل.

٤- أما الاهتمام به فأنه جاء على وتيرة واحدة من كل الدول التي خضعت لحكمها مصر، ويعزى ذلك الى محاولة تلك الدول إضفاء الشريعة على حكمها، من خلال العناية بشؤون المسلمين ورعايتهم.

الهوامش:

- سليمان عبد الغني مالكي، مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٧، ص٣٦.
- عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢، ج٢، ٥٢- ٥٣.
- ابتسام بنت محمد صالح بن عبد الرحمن كشميري/ مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني الى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (٩٢٣-١٠٠٠هـ)(١٥١٧- ١٥٩١م) دراسة سياسية - حضارية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١، ص٣٤٥.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل غرب العالم الاسلامي بالحرمين الشريفين (دراسة تأريخية- آثارية)، بحث مقدم الى الندوة الكبرى المقامة بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الأسلامية لعام ١٤٢٦هـ، المحور التاسع الرحلات وأثرها في العالم الإسلامي، مكة المكرمة، مطابع جامعة ام القرى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص٩-١٠.
- آمنة جلال، طرق الحج ومرافقه في العصر المملوكي ٦٤٨- ٩٢٣ هـ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٦، ص٥.
- سعد بن عبد العزيز الراشد، درب زبيدة طريق الحج من الكوفة الى مكة، في: علي إبراهيم الغبان وآخرون، دليل معرض (طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية)، باريس، (د.مط)، ٢٠١٠، ص٤١٧.
- علي إبراهيم الغبان وآخرون، دليل معرض (طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية)، ص٤١٣.
- Abdul Aziz Al- Shinhawy, the Islamic Openings, Translated by - Heba Samir Hendawi, Egypt, Umm Al -Qura for Translation, Publishing and Distribution, 2002, P. 1- 209, 289;

- عبد العزيز إبراهيم العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور دراسة تاريخية لحركة الجهاد الاسلامي من عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى اواخر العهد العثماني، الرياض، دار اشبيليا، ط٣، ٢٠٠٠، ص ١٠٠- ١٧٩.
- كانت القاهرة تمثل أكبر محطة في رحلة الحج المغربية التي تمثل بلدان شمال افريقيا، ولم يكن للمحمل المغربي هيكل خشبي وكسوة مثل سائر المحامل، وإنما عبارة عن قوافل متعددة تضم ركائب حج المغرب الأقصى والجزائر وتونس وطرابلس الغرب، لتؤلف ركباً مغربياً واحداً يسير براً عبر تلك البلدان بمحاذاة ساحل البحر المتوسط، ويتزامن مع تحرك هذا الركب تحرك حجاج الأندلس الذين يأتون بحراً عبر الشواطئ المغربية حتى يصل الجميع الى الاسكندرية، ومن ثم إلى القاهرة، التي لا يغادرونها إلا يوم ٢٧ شوال، بعد أن يكون قد رحل عنها الركب المصري يوم٢٣ شوال، عندها يلتحق به الركب المغربي، ويجتمع الركبان في بركة الحاج، ومن هناك يكون الانطلاق باتجاه الأراضي المقدسة في الحجاز، ينظر: عواطف بن محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٨،ص٢٥٦.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص١٦.
-) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١، ص٨٤.
- جسر القلزم: ورد في الكتابات اليونانية القديمة، وهو اسم لميناء القلزم الذي تعود أهميته الى ما قبل الفتح العربي لمصر، ويقع في أقصى النهاية الشمالية لبحر القلزم، على مسافة كيلو ونصف الكيلو شمالي مدينة السويس الحالية، وظل على أهميته في العصر الإسلامي حتى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي، ثم أخذ في الضعف والاضمحلال ليندثر بعدها وتبنى على أنقاضه مدينة السويس الحالية وميناؤها، وآثار القلزم لم تزل قائمة بين مساكن السويس الى يومنا هذا، وهي تحمل اسم (قلعة القلزم)، للتفاصيل ينظر: صفاء حافظ عبد الفتاح، الموانئ والثغور المصرية من الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة، دار الاشعاع للطباعة، (د.ت)، ص٣٤- ٣٥.
- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكتاب، كتاب البلدان، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٦٠، ص ١٢٩- ١٣٠.
- أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق وتقديم: ادريان فان ليوفن، ندري وفيري، (د.م)، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢، ج١، ص٤١٩.

- الإمام أبو إسحاق الحربي، كتاب المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة العربية، تحقيق: حمد الجاسر، بيروت، مطبعة المتنبي، ١٩٦٩، ص٦٥١- ٦٥٢.
- سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، جدة، مطابع دار البلاد، ١٩٨١، ص٧٦.
- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، كتاب مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٧٠، ص٢٧.
- الإمام ابو إسحاق الحربي، المصدر السابق، ص٦٥٠-٦٥١.
- علي بن إبراهيم الغبان، طريق الحج المصري، قي: علي ابراهيم الغبان وآخرون، دليل معرض (طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية)، ص٤٦٠.
- المصدر نفسه، ص٤٦١.
- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، دار احياء الكتاب العربية، ١٩٧٥، ج١، ق١، ص٢٠.
- محمد بن حسين بن حامد الحارثي، الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية الى نهاية العصر المملوكي (البعثة/ ٦١١م- ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١، ص٣٣٤.
- تقي الدين أبو العباس احمد بن علي المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، ١٩٨٧،ج١، ص٢٠٢.
- للتفاصيل عن تلك المجاعة، ينظر: حسن ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٩٣٢، ص٢٥١-٢٥٢.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص٣١.
- سليمان عبد الغني مالكي، طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الاسلامي الى منتصف القرن السابع الهجري، الدارة (مجلة)، المملكة العربية السعودية،س١، ع١، ١٩٨٤، ص١٦.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص٣٢-٣٣.
- ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب، (د.م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٣، ص١٣١-١٣٥.
- محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ص ٣٢- ٥٣.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص ٣٤-٣٥.

- عرب البجاة: ويعرفون أيضاً (بالبجا أو البيجة)، وهم صنف من الحبش شديدو السواد، يقطنون على شكل قبائل في الصحراء الشرقية لمصر، بين الساحل الغربي للبحر الاحمر وبين عيذاب وقوص، للتفاصيل أكثر عن البجاة، ينظر: نعوم شقير، تأريخ السودان، تحقيق وتقديم: ابراهيم ابو سليم، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١، ص٧٩-٨٣.
- عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٨- ٢٤٩.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص٣٥-٣٦.
- محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، مصر، مطبعة الجمالية، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ص٢٩.
- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للأعلام العربي، ط١، ١٩٨٧، ص٣٩١.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص ٤٣.
- ابراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين والرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م، ج٢، ص٣٠٦.
- عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٥، ج٣، ص٨٧.
- تقي الدين أبو العباس احمد بن علي المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٢.
- عمر بن فهد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، المصدر السابق، ج٣، ص٩٤.
- نهى عبد الحافظ عبد العزيز، الأهمية التأريخية لميناء عيذاب الاثري، ص٤-٥.
- محمد عبد العزيز محمد سياج، النقل والمواصلات في مصر عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨، ٧١.
- القاسم بن يوسف التجيبي السبتي، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥، ص١٩٦- ٢٠٦.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي،الرباط، (د.مط)، ١٩٩٧، ج١،ص٢٣١.

- [1] Darrag, Ahmad, L Egypte Sous Le Regne de Barsbay (826- 841, 1422- 1438), Damas, 1961, P. 201- 208.
- أبو الحسن علي القلصادي الاندلسي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد ابو الاجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨، ص١٢٩-١٣١.
- سيد عبد المجيد بكر، المصدر السابق، ص٧٩.
- علي بن ابراهيم الغبان، المصدر السابق، ص٤٦١.
- لتتبع سير تلك المنازل، ينظر: هيام علي عيسى، الحج الى الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨/ ١٢٥٠- ٩٢٣/ ١٥١٧)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة القديس يوسف، لبنان، ٢٠١٠، ص١٢٦-١٣٤.
- الشيخ أحمد الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف أحمد، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠، ص٣٨.
- السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب، كتاب تقويم البلدان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠، ص٨٧.
- سيد عبد المجيد بكر، المصدر السابق، ص١٠٦ و ١٢٠.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص٣١٥.
- آمنة جلال، المصدر السابق، ص٥٥.
- نعوم شقير، تأريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١، ص٢٠٤.
- محمد محمد التهامي، الاصلاحات المملوكية في الاراضي الحجازية، الدارة (مجلة)، المملكة العربية السعودية، العدد الاول، س١١، يونيو، ١٩٨٥، ص٨٨.
- محمد بن احمد بن اياس الحنفي، المصدر السابق، ج٤، ص١٥١- ١٥٢؛ أ. موسل، شمال الحجاز، ترجمة: عبد المحسن الحسيني، الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٥٢، ص١٥٢.
- صبري العدل، تأريخ سيناء الحديث (١٨٦٩- ١٩١٧)، (د.م)، (د.مط)، ٢٠٠٤، ص١٧.
- آمنة جلال، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠ و ٤٤ و٥٦.
- حسين مؤنس، المصدر السابق،ص ٣٩٢.
- [1]Sami Saleh Abd Al- Malik, The Khans of the Egyptian Hajj Route in the Mamluk and Ottoman Periods, P. 59.

- محمد محمد التهامي، المصدر السابق، ص٨٨.
- الإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، بيروت، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص٣٩٠.
- أيوب صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ترجمة: احمد فؤاد متولي، الصفصافي احمد المرسي، القاهرة، دار الافاق العربية، ١٩٩٩، ص١٥.
- Sami Saleh Abd Al- Malik, Op.Cit., P. 58
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص٨٦-٨٧.
- سميرة فهمي علي عمر، امارة الحج في مصر العثمانية ٩٢٣- ١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، ٢٠٠١، ص٢٩١.
- Shaw, S.J.,the Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt, 1517- 1798, Princeton, N. J, 1962, P. 212.
- محمد علي فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر ابان العصر العثماني في الفترة من ٩٢٣- ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧- ١٨٠٥م، رسالة ماجستير (غير منشور)، كلية اللغة العربية، جامعة الازهر، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٩، ص٢٤٠.
- أبو عبد الله محمد بن احمد الخصيكي السوسي، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر، الرباط، دار الامان للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص٩٤.
- سامي صالح عبد المالك، البياضي، الموروث التاريخي في خدمة الاكتشافات الآثارية: الواقع والمأمول طريق البريد والحاج المصري في سيناء انموذجاً ثمانية عشر عاماً من البحث والتنقيب في مجاهل سيناء، ص١٣.
- اللواء محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية، اعداد وتحرير: محمد همام فكري، بيروت، بدر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص٢٧٢.
- .Sami Saleh Abd Al- Malik, Op.Cit., P. 53
- Ibid, P. 53.
- هشام محمد علي حسين عجيمي، قلعة المويلح، دراسة معمارية حضارية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣، ص٢٩.
- مطلق البلوي، العثمانيون في شمال الجزيرة العربية، ١٣٢٦- ١٣٤١هـ/ ١٩٠٨-١٩٢٣م، بيروت الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٧، ص٩٠-٩١.

- يدي الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٧٤، ص٣١٩.
- Sami Saleh Abd Al- Malik, Op.Cit., P. 59.
- الشيخ أحمد الرشيدي، المصدر السابق، ص٢٠.
- المصدر نفسه، ص٢١.
- شارل ديدييه، رحلة الى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤م، ترجمة وتقديم: محمد خير البقاعي، الرياض، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ٢٠٠٢، ص٢٤٩.
- محمد لبيب البتنوني، المصدر السابق، ص٢٢٣.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص٥٢.
- رتشارد. ف. بيرتون، رحلة بيرتون الى مصر والحجاز، ترجمة وتعليق: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، (د.م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص١٤٦-١٤٧.
- ابو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق: عبد الكريم العبيلالي، الرباط،مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩١، ص٢١٣- ٢١٤.
- حسام محمد عبد المعطي، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر،(د.م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩،ص٢٢٣.
- جوزيف بتس، رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، (د.م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص٤١- ٤٤.
- ابتسام بنت محمد صالح بن عبد الرحمن كشميري، المصدر السابق، ص٣٤٥.

(١) حسين مؤنس، المصدر السابق، ص٣٩٢.

- محمد لبيب البتنوني، المصدر السابق، ص٣٧.
- جمال حمدان، سيناء في الاستراتيجية والسياسية والجغرافيا، القاهرة، مطبعة اطلس، ١٩٩٣، ص١٩.
- أحمد السباعي، تأريخ مكة دراسة في السياسة والعلم الاجتماع والعمران، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٩، ج٢، ص٥٢٩ و ٦٥٠.
- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل، ص٥٧- ٥٨.

قائمة المصادر:

أولاً: الرحلات:

- ابراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين والرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م، ج٢.
- أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق: عبد الكريم العبيلالي، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩١.
- أبو الحسن علي القلصادي الاندلسي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق: محمد ابو الاجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨.
- أبو عبد الله محمد بن احمد الخصيكي السوسي، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر، الرباط، دار الامان للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
- جوزيف بتس، رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) الى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة ودراسة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ،(د.م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.
- رتشارد. ف. بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة وتعليق: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، (د.م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.
- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الانظار في فضل علم التأريخ والاخبار، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٧٤.
- شارل ديدييه، رحلة الى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤م، ترجمة وتقديم: محمد خير البقاعي، الرياض،، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٢.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تقديم وتحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط، (د. مط)، ١٩٩٧، ج١.
- القاسم بن يوسف التجيبي السبتي، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥.
- اللواء محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية، اعداد وتحرير: محمد همام فكري، بيروت، بدر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
- محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، (د.ت).
- محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، مصر، مطبعة الجمالية، ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١م.

- ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب، (د.م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٣.

ثانياً: المصادر:

- الإمام ابو إسحاق الحربي، كتاب المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة العربية، تحقيق: حمد الجاسر، بيروت، مطبعة المتنبي، ١٩٦٩.
- الإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس، بيروت، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع (د.ت).
- أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، كتاب مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٧٠.
- أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق وتقديم: ادريان فان ليوفن، ندري فيري، (د.م)، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢، ج١.
- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكتاب، كتاب البلدان، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٦٠.
- تقي الدين ابي العباس احمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، ١٩٨٧، ج١.
- السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب، كتاب تقويم البلدان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠.
- الشيخ أحمد الرشيدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي امارة الحاج، تحقيق: ليلى عبد اللطيف احمد، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠.
- عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري الحنبلي، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢،ج١و ج٢.
- عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع،ط٣، ٢٠٠٥، ج٣.
- قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١.
- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٩٧٥، ج١/ ق١ و ج ٤.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

- بتسام بنت محمد صالح بن عبد الرحمن كشميري، مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني الى نهاية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي (٩٢٣-١٠٠٠هـ) (١٥١٧- ١٥٩١م) دراسة سياسية - حضارية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١.
- آمنة جلال، طرق الحج ومرافقه في العصر المملوكي ٦٤٨- ٩٢٣ هـ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٦.
- محمد بن حسين بن حامد الحارثي، الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية الى نهاية العصر المملوكي (البعثة/ ٦١١م - ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الشريعة، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١.
- محمد عبد العزيز محمد سياج، النقل والمواصلات في مصر عصر سلاطين المماليك (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨.
- محمد علي فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من ٩٢٣- ١٢٢٠هـ / ١٥١٧- ١٨٠٥م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية اللغة العربية، جامعة الازهر، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٩.
- هشام محمد علي حسن عجيمي، قلعة المويلح دراسة معمارية حضارية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣.
- هيام علي عيسى،الحج الى الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨/ ١٢٥٠هـ- ٩٢٣/ ١٥١٧ م)، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة القديس يوسف، لبنان، ٢٠١٠.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

- أحمد السباعي، تاريخ مكة، دراسة في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٩، ج٢.
- أ. موسل، شمال الحجاز، ترجمة: عبد المحسن الحسيني، الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٥٢.
- أيوب صبري باشا، مرآة جزيرة العرب، ترجمة: احمد فؤاد متولي، الصفصافي أحمد المرسي، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩.

- جمال حمدان، سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا، القاهرة، مطبعة أطلس، ١٩٩٣.
- حسين إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة، المطبعة الاميرية، ١٩٣٢.
- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٩٨٧.
- حسام محمد عبد المعطي، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر، (د.م)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- سعد بن عبد العزيز الراشد، درب زبيدة طريق الحج من الكوفة الى مكة، في: علي إبراهيم الغبان وآخرون، دليل معرض (طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية)، باريس، (د.مط)، ٢٠١٠، ص٤١٧.
- سليمان عبد الغني مالكي، مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ١٩٨٧.
- سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية ٩٢٣- ١٢١٣ هـ/ ١٥١٧- ١٧٩٨م، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، ٢٠٠١.
- سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، جدة، مطابع دار البلاد، ١٩٨١.
- صبري العدل، تأريخ سيناء الحديث (١٨٦٩- ١٩١٧)، (د.م)، (د.مط)، ٢٠٠٤.
- صفاء حافظ عبد الفتاح، الموانئ والثغور المصرية من الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة، دار الاشعاع للطباعة، (د.ت).
- عبد العزيز إبراهيم العمري، الفتوح الإسلامية عبر العصور، دراسة تاريخية لحركة الجهاد الاسلامي من عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى اواخر العهد العثماني، الرياض، دار اشبيليا، ط٣، ٢٠٠٠.
- علي بن إبراهيم الغبان، طريق الحج المصري، في: علي ابراهيم الغبان وآخرون، دليل معرض (طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية).
- مطلق البلوي، العثمانيون في شمال الجزيرة العربية ١٣٢٦- ١٣٤١هـ/ ١٩٠٨- ١٩٢٣م، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٧.
- نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق وتقديم: ابراهيم ابو سليم، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١.
- _____، تأريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١.

خامساً المراجع باللغة الانكليزية:

- Abdul Aziz Al-Shinnawy, the Islamic Opening, Translated by: Heba Samir Hendawi, Egypt, Umm Al - Qura for Translation, Publishing and Distribution, 2002.
- Darrag, Ahmad, L Egypt sous le Regne de Barsbay (826-841, 1422- 1438), Damas, 1961.
- Sami Saleh Abd Al- Malik, the Khans of The Egyptian Haji Route in the Mamluk and Ottoman Periods.
- Shaw, S.J., the Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt, 1517- 1798, Princeton, N.J., 1962.

سادساً: البحوث والدراسات المنشورة:

- سامي صالح عبد المالك البياضي، درب الحاج المصري همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين (دراسة تاريخية- اثارية)،بحث مقدم إلى الندوة الكبرى المقامة بمناسبة اختيار مكة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، المحور التاسع الرحلات وأثرها في العالم الإسلامي، مكة المكرمة، مطابع جامعة ام القرى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ـــــــ، الموروث التاريخي في خدمة الاكتشافات الآثارية: الواقع والمأمول طريق البريد والحاج المصري في سيناء أنموذجاً ثمانية عشر عاماً من البحث والتنقيب في مجاهل سيناء.
- سليمان عبد الغني مالكي، طرق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي الى منتصف القرن السابع الهجري، الدارة (مجلة)، المملكة العربية السعودية، س١، ع١، ١٩٨٤.
- محمد محمد التهامي، الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية، الدارة (مجلة)، المملكة العربية السعودية، العدد الاول،س١١، يونيو، ١٩٨٥.
- نهى عبد الحافظ عبد العزيز، الأهمية التاريخية لميناء عيذاب الاثري.